تمهيد

لهـذا الكتـاب أبعاد عدة. إنه قبل كل شـيء كتاب موجه لأولئـك المهتمين بالعملية الأكاديميـة، بشـقيها الماثلين في التدريس والتعلم، في التعليم العـالي. ويركز الكتاب علـى خبرات التعلـم عند الطـلاب، ويربـط الأفكار التـي تقدمها البحـوث بخبرات التدريـس لدى المدرسـين في التعليم العالي. ومن هذا المنظـور يمكن القول إن الكتاب يتمم رسـالتي الاتجاهين اللذيـن يحظيان اليوم بالقدر الأكبر مـن الاهتمام والرواج بين النصـوص المعنية بالعملية الأكاديمية في التعليم العالي، ويمد الجسور بين هاتين الرسالتين. يتضمن الكتاب توسيعاً لبحوث تعلم الطلاب، التي يسوقها رامسدن، بغية إيضـاح ودعم رسـالة كتابه «تعلم التدريـس في التعليم العالي» (رامسـدن، 1992)، ويربـط بـين النظرة الموجهة نحو التركيز على التعلم، والتـي يتبناها مارتون في كتابه «خـبرات التعلم» (مارتون وآخـرون، 1997) من جهة، وخبرات أسـاتذة الجامعة في التدريس، من جهة أخرى. ويضـع الكتاب بين يدي أسـتاذ الجامعة منهجاً جديداً في التدريس، ودليلاً لتطبيق الأفكار المعرفية في التعليم الجامعي.

ورغـم أن الكتاب يشـاطر الكتابين المذكوريـن أعلاه في وجهة النظـر ذاتها، فإن رسـالته تختلـف عن رسـالتي سـابقيه في التأكيـد أن الطريق إلى الأمام يتجسـد في التركيـز على حالات التعلـم والتدريس، مع الحفاظ على جـودة التعلم. وهذا لا يعني علـى الإطـلاق أننا نقلل هنا من أهمية جودة التعلم، وسـوف تـرى في قراءتك للكتاب أننا لا نشك في أن جودة التعلم تمثل الهدف الأسمى والأهم للعملية الأكاديمية برمتها، كمـا قد توضَّـح وثبت من خلال العديد من الأعمال السـابقة، كالكتابـين الذين أتينا على ذكرهما سابقاً. ونعتقد بوجود حاجة ماسة مع الأمل أن نوفق إلى تقديمه هنا، هو الطريـق إلى تحقيـق ما نطمح إليه لتحقيق تلك الجودة. ويقوم منهجنا على مناقشـة العلاقـات التـي تربط مختلـف جوانب خبرات التعلـم عند الطلاب بعضـها ببعض.

تتضـمن هذه الجوانب إدراك الطالب لحالة التعلم التي يعيشـها: ومنهجه في التعلم؛ وخبراته السـابقة في التعلم؛ والمخرجات التي يجنيها من التعلم. وفي دراسـتنا لتلك العلاقات نستند بقوة إلى الأفكار التي يقدمها مارتون وبوث في كتابهما الجديد «التعلم والوعي» (مارتون وبوث، 1997).

كذلك فإن الكتاب موجه أيضـاً إلى المهتمين باستكشـاف المبادئ التي تقوم عليها طـرق التدريـس المختلفـة، بما في ذلـك التعليم عن بعـد؛ والتدريـس في محيط تنوع الثقفـات؛ وكذلك اسـتخدام التقنيات الحديثـة في التدريس. ويتعلـق محتوى الكتاب بما تقدمـه لوريلارد في كتابها «إعـادة النظر في التدريس الجامعي: الإطار المناسـب للاستخدام الفعال لتقنيات التعليم» (لوريلارد، 1993)، غير أن توجهات هذا الكتاب أكثر عمومية واتساعاً.

وأخيراً: فإن هذا الكتاب موجه إلى أسـاتذة الجامعة الراغبين في تطوير وإضـافة عناصـر البحـث لنشـاطاتهم التعليميـة. فالكتاب لا يكتفـي بتقديم أهـم وأحدث ما توصـلت إليه بحـوث التدريس والتعلم، مستعرضـاً في ذلك لا النتائج فحسـب، وإنما المنهـج والطرق أيضـاً في كثير من الأحيان، بل يتضـمن أيضـاً الكثير من التفاصـيل حول الأسـئلة والطرق التي من شأنها أن تقدم للأسـاتذة الباحثين فائدة مباشرة في سـعيهم إلى استكشاف واقع العملية التدريسـية التي يديرونها. ومن المظاهر المميزة للكتاب، ولجملة الأمثلة البحثية التي يسـوقها، فإنـه ينظر إلى نتائج البحوث الكيفية والكمية على أنها تكمل بعضـها بعضاً من حيث الطرق والنتائج. وكلا النوعين ساهم في تطوير أفكار الكتاب بشـكل لم يكن ليتسنى لنا على الإطلاق، لو أننا اقتصرنا على أحد النوعين دون الآخر.

ويقدم الفصـل الأول لمحة عامة عن هذه البحوث وعن الكتاب. ويقوم هذا الفصل بتصـوير المشـهد الذي تدور فيه أحداث العملية التدريسـية، موجهاً الاهتمام بشـكل خاص نحو ظاهرة التباين بين الطلاب في تعاملهم مع مسـألة التعلم. كما يقدم أيضاً مؤشـرات واضـحة للاتجاهات العريضة التي سنسلكها في سـعينا إلى تطوير عمليتي التعليـم والتدريس. ويهتم الفصـل الثاني بعرض وتوصـيف النمـوذج النظري والذي

يربط جوانب التباين المختلفة بعضها ببعض، على امتداد فصول الكتاب. ونعرف في هذا الفصل ما نعنيه في استخدامنا للمفاهيم الأساسية: الخبرة؛ التباين؛ الوعي؛ المقدمة/الخلفية؛ والرؤية ذات الصلة. ويوضح هذا الفصل أيضاً بإيجاز، الطيف العريض الذي يضم وجهات النظر المختلفة حول التعلم والتدريس في التعليم العالي على المستويين البحثي والتطبيقي.

وتتشابه الفصول 3 - 6 في بنيتها. ويستقل كل من هذه الفصول بذاته، لكنه في الوقت نفسه يبدي بنية قائمة على علاقة من النمط «مقدمة وخلفية»، بين جوانب النموذج المختلفة، حيث يحتل الجانب الذي يمثل موضوع الفصل موقع المقدمة، بينما تشكل الجوانب الأخرى الخلفية الطبيعية للنموذج، التي تساعد على إبراز معالم ذلك الجانب ودوره. ويستعرض كل من هذه الفصول بحوث تعلم الطلاب التي تهتم بالجانب الذي يركز عليه الفصل، ويناقش أهم المبادئ التطبيقية التي تقدمها نتائج تلك الأعمال البحثية لواقع العملية التدريسية. ويختتم كل فصل باستعراض بعض الأمثلة للنشاطات البحثية ضمن إطار الصف، والتي توضح تطبيق تلك المبادئ.

ويركز الفصل 7 على التدريس، حيث يستعرض أحدث البحوث التي تعنى بخبرات التدريس، محاولاً الربط بين تصورات الأستاذ لماهية التدريس، وإدراكه لحالة التدريس التي يعيشها، ومنهجه في التعليم مع طرق تعلم الطلاب.

وفي الفصل الأخير من الكتاب نقوم بجمع الرسائل المختلفة التي تقدمها الفصول السابقة، ونوجز انعكاسات ما طرحناه من أفكار وما خلصنا إليه من نتائج ومبادئ على صعيد تعلم الطلاب، والتدريس، والتطوير الأكاديمي في حقل التعليم العالي.

مايكل بروسر

كيث تريغويل

شكر وتقدير

لقد ساهم أشخاص كثيرون بطرق متنوعة في فكرة هذا الكتاب وتطوره. ولقد كانت عملية جمع الأفكار وتنسيقها ونتائج البحوث التي ستتعرف عليها في فصول الكتاب، تراكمية امتدت على حقبة طويلة من الزمن. أما مصادر الإلهام فكانت كثيرة ومتنوعة، تضمنت فيما تضمنته ملاحظات الزملاء والأصدقاء، كما تضمنت أيضاً الكثير من النقاشات الممتعة المثيرة والمحفزة، الرسمية وغير الرسمية.وتلقينا الدعم الفكري والمالي والمعنوي لجمع تلك الأفكار بعضها إلى بعض، كما تلقينا أيضاً الدعم اللازم للوصول بتلك الأفكار إلى الشكل الذي آلت إليه في صورة الكتاب الذي بين أيديكم. وعلى العموم فقد ارتأينا توزيع الأشخاص الذين نود هنا أن نشكر ونقدر لهم مساهماتهم في تطويرهذا الكتاب ضمن مجموعات ست.

المجموعة الأولى: تضم الباحثين والأساتذة ، الذين تعاونوا معنا من خلال وضعهم أفكارنا، وبعضاً من أفكارهم الذاتية، موضع الاختبار العملي ضمن بيئة تدريس حقيقية على أرض الواقع. وقد اشتركنا مع الكثيرين منهم في إعداد العديدمن نشر أوراق البحث، وبعض تلك الأوراق مشار إليه في الكتاب، في عدة مواقع من الفصول القادمة. هؤلاء هم: جين بلاكويل، كريس كوب، كاثرين كراوفورد، جين ديفي، مارك غارنر، سو غوردون، مايكل جاكسون، روزماري ميلار، جيكي نيكولاس، آنا راید، كارين سكولار، يان سيفتون، ريه سليت، فيليب تايلور، باول ووكر، وكارولاين ويب.

ثم هناك مجموعة الدعم الأسري:تولت كاي نولان مهمة تنسيق فهرس المصطلحات، ورافقتنا جنباً إلى جنب مع كل من أولمبيا وإنغريد ووكر، في رحلتنا الشيقة عبر محطات الكتاب، وقدمن ملاحظاتهن حول مسودات النص، وتحملن ما أفسدناه عليهن من أيام العطل، كما تحملن معنا أيضاً أياماً صعبة أمضيناها في محاولات غير موفقة للتقدم في صياغة فقرات الكتاب.

ولقد ساعدنا ديفيد بود والخوض في هذه المغامرة، والتقدم إلى الناشر المناسب. وهو واحد من أفراد مجموعة البحث، التي تضم أيضاً الزميلات والزملاء: جون بايـن، جون بيغس، شيرلي بوث، جون بودن، غلوريا دال ألبا، نويل إنتويستل، إيلين مارتين، فيرينس مارتون، إيريك ماير، باول رامسدن، و يورغن ساندبيرغ، الذين كانوا جميعاً مورد إلهام لا ينضب. طرحنا أمامهم أفكارنا، وناقشناها معهم، استعرنا منهم أفكاراً جديدة، وتعلمنا منهم الكثير.

كما قدمت زميلاتنا وزملاؤنا في العمل، هيلين إدواردس، دينيس كيركباتريك، بريان لو، جيكي لابلين، جو ماك كينزي، إيريكا مارتنس، آنا رايد، و فيونا ووترهاوس، هامشاً من الحرية، وبعض الدعم الأكاديمي، وبعض الملاحظات والتوجيهات القيمة.

وفيما يخص طباعة الكتاب، نشكر للسيد جون سكيلتون والسيدة ليندا ووتكنس من دار النشر أوبن يونفيرسيتي صبرهما وسعة صدريهما، عبر كفاحنا الطويل مع مواعيد التسليم، كما نشكر لدار النشر ما قدمته من دعم، بعد أن تمكنا في نهاية المطاف من تسليم النص.

وأخيراً نشكر السادة أعضاء المجلس الأسترالي للبحث العلمي (1988-1998)، وكذلك السادة المحكمين الذين استعان بهم المجلس، على تكرمهم بتقديم الدعم المالي السخي والمنتظم، الذي أتاح لنا إمكانية إجراء القسم الأعظم من البحوث التي يعتمد عليها الكتاب. كما نشكر أيضاً جميع الطاقات البشرية التي ساعدتنا، بتمويل كريم من المجلس، في إتمام تلك المشاريع البحثية.